شمعة الميتم..!!

حين نبت قلبي بين أضلعي تفيأت ظلالا من الأحزان ، نموت في بقعة مزدحمة من الصغار ، الطعام نتناوله على منضدة كان النمل يرافقنا في الطعام وكأن حقه أسبق من حقوقنا ، عندما ولدت كانت أمي تعمل بمشفى ضمن العاملات ، والدي رحمه الله ممن ينظمون السيارات حتى ينالوا ما يسد الرمق ، انتهت حياته أثناء سعيه إلى البقشيش تحت عجلات سيارة نقل لأحد المصانع الكبرى التي يمتلكها ثري كبير ، ونظرا لحالته المتدنية في الفقر لم يلتفتوا إليه ، كأنه كلب ضال في الطريق ، أمي من شدة حزنها ماتت أثناء ولادتي ، لم يجد المشفى أحدا يحملني ويقوم بتربيتي ، أودعوني في ذلك الميتم ، كان التعليم متعسرا وبشق الأنفس تأتي المعونات لسد الرمق ، المرحلة الابتدائية حين ندخلها سرعان ما نمكث فيها ثلاث أو أربع سنوات ، ونحال إلى التقاعد للثأثأة والتهتهة التي تلحقنا حين تناول أي ورقة للقراءة أو حتى الكتب المقررة وعلى هذا الحال صار الوضع ، لكنني من حسن طالعي حين جاء دوري تشبثت بثوب مدرستي ، وقلت ودموع تجري كبحر فاض ماؤه أريد أن أتعلم أرجوك مما جعل الأبلة تشفق علي وتقول : أصمت يا كمال سنجري لك امتحانا ، أخذت أبتهل إلى السماء ودموعي لا تكف

حتى نهرتني بسؤال : لماذا تريد أن تتعلم ؟ تلعثمت ثم صمت وفجأة اندفعت بالجواب : عايز أبقى حاجة كويسة للميتم ويفتخر بيه ، ابتسمت الأستاذة وقالت أنت الآن تستحق أن تكمل دراستك ، أخذت أقبل يدها حتى جذبتها بقوة ، كان بالميتم أعمال شاقة نرفع ذلك ونضع آخر وننظم المكان ، وأحيانا نقوم بالتنظيف متى أن أفرغ وفي شدة التعب أبدأ المذاكرة لكن الله كان معي يمدني بذوي القلوب الرحيمة ، حين يأتي متبرعون ويشاهدونني وأنا أذاكر يجلبون لي الكتب الخارجية ، ورغم ذلك كان بعضهم يتعسف معي وينهرني بغلظة ليعلم مدى قوة تحملي ، وأنا أمام جراحي الساكنة بالقلب في صمت مبين حتى أعيتهم الحيلة خاطبني أحدهم ذات مرة : أنت ماذا ستصنع بعد المذاكرة الطويلة ؟ قلت له : إن شاء الله أكون مساعدا لك أخفف عنك الأعباء ، وجدته ابتسم وكأني أثلجت صدره بقولي هذا ، عندما بلغت المرحلة الثانوية أرادوا أن يهددوني بالكف عن الدراسة وجدتها فرصة أثبت لهم رغم معاناتي داخل جدران السجن ، أن أبرهن لنفسي أولا ثم لهم ثانيا أن النجاح كفاح مرير وفي نهايته انشراح للصدر، وهكذا

اعتكفت بإرادة فولاذية وتصميم أن أكسر هذا القيد الحديدي بمعصمي ، جاءت النتيجة بمجموع يسر الجميع ، الحقيقة تغيرت العيون في نظري ، وارتأيت معاملة فيها بعض التميز ، صرت أكد وأبذل قصارى جهدي حتى أتخرج في كلية التجارة التي التحقت بها ، وأوشكت على الانتهاء ، كانت النهاية أن أحد ممولي الميتم يعمل بأحد البنوك وعندما علم بتفوقي كانت المفاجأة من الله وصرت موظفا متألقا ، وفي الحفل السنوي كانت قصتي على مسمع ومرأى من الجميع .